

## الصلاة

### المحاضرة ٤: الصلاة الربانية، الجزء ١

أ.ر. سي. سرول

إِنَّ الرَّسُولَ بُولُسَ، وَفِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي، يُوجِّهُ تَحْذِيرًا أَجْدُ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا إِطَاعَتُهُ. وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ هَذَا لَيْسَ رَأْيِي أَنَا وَحْدِي. فِي الْأَصْحَاحِ ٤ مِنْ رِسَالَةِ فِيلِبِّي وَالآيَةِ ٦ نَقَرْنَا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. "لَا تَهْتَمُوا بِشَيْءٍ"، "لَا تَهْتَمُوا بِشَيْءٍ". كَلِمَةُ "يَهْتَمُّ" هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَكْثَرِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يُسَاءُ اسْتِعْمَالُهَا فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ. وَعَالِبًا مَا يَتِمُّ الْخُلُطُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ كَلِمَةِ "يَتَحَمَّسُ". أَحْيَانًا يَقُولُ النَّاسُ "يَهْمُنِي كَثِيرًا حُلُولُ عِيدِ الْمِيلَادِ"، فَأَرْعَبُ فِي الْقَوْلِ لَهُمْ "وَمَا الَّذِي يُقْلِقُكُمْ؟" مَا يَقْصِدُونَهُ هُوَ أَنَّهُمْ مُتَحَمَّسُونَ لِعِيدِ الْمِيلَادِ، وَيَتَوَفَّوْنَ إِلَى حُلُولِهِ. لَكِنَّ كَلِمَةَ "تَهْتَمُّ" نَاشِئَةٌ عَنِ فِكْرَةِ الْإِهْتِمَامِ، الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْقَلَقَ وَالْهَمَّ وَالِاضْطِرَابَ. إِذَا، يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ "لَا تَقْلِقُوا بِشَأْنِ أَيِّ شَيْءٍ، لَا تَهْتَمُوا، لَا تَحَافُوا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ". إِذَا، مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا إِطَاعَةُ هَذَا التَّحْذِيرِ، نَظَرًا لَوُجُودِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تُخَيِّفُنَا وَتُقْلِقُنَا فِي هَذَا الْعَالَمِ.

وَيَسُوعُ نَفْسُهُ طَلَبَ مِنَّا أَلَّا نَقْلِقَ بِشَأْنِ أَيِّ شَيْءٍ، وَأَلَّا نَهْتَمَّ بِشَأْنِ مَا سَنَلْبَسُهُ وَنَأْكُلُهُ وَنَشْرَبُهُ فِي الْعَدِ. كَمَا أَنَّهُ دَعَانَا إِلَى وَضْعِ مَخَافِنَا جَانِبًا لِكَيْ نَتَّقَ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ لِأَمَانِنَا وَحَيَاتِنَا وَتَرْتَاخٍ فِيهِ. هُنَا يَقُولُ بُولُسُ "لَا تَهْتَمُوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ. وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَقُوقُ كُلَّ عَقْلِ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". لَاحِظُوا هُنَا أَنَّ تَقْيِضَ الْقَلَقِ هُوَ سَلَامُ اللَّهِ.

قِيلَ لَنَا فِي مَكَانٍ آخَرَ: "الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ". إِذَا، إِنْ كُنَّا خَائِفِينَ، وَإِنْ كُنَّا قَلِقِينَ فَمَا هُوَ الْعِلَاجُ؟ أَوَّلُ أَمْرٍ يَجْدُرُ بِنَا فِعْلُهُ هُوَ السُّجُودُ عَلَى رُكْبِنَا، لِأَنَّ مَا مِنْ دَوَاءٍ أَعْظَمَ لِلْخَوْفِ وَالْقَلَقِ فِي الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ مِنَ الصَّلَاةِ الْحَارَّةِ. فَالْقَلَقُ يَقُودُنَا وَيَدْفَعُنَا إِلَى الْجَثْوِ عَلَى رُكْبِنَا مِرَارًا وَتَكَرَّرًا، وَأَنْ نَجْثُوَ عَلَى رُكْبِنَا لِهَوِّ أَمْرٍ جَيِّدٍ نَفْعَلُهُ. يَقُولُ بُولُسُ هُنَا إِنَّكَ إِنْ كُنْتَ قَلِقًا، لَا تَقْلِقْ. لَكِنَّ إِنْ كُنْتَ قَلِقًا، فَمَا الَّذِي يَجْدُرُ بِكَ فِعْلُهُ؟ لِتُعْلَمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ. تَعَالَى إِلَيْهِ بِدُعَائِكَ، ارْفَعْ طِلْبَاتِكَ وَدُعَائِكَ لِلَّهِ، لَكِنَّ مَعَ مَاذَا؟ مَعَ الشُّكْرِ.

أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُهِّمِّ هُنَا أَنَّ الرَّسُولَ يَدْعُونَا إِلَى رَفْعِ جَمِيعِ طِلْبَاتِنَا وَكُلِّ مَا يُضَايِقُنَا وَكُلِّ مَا يُقْلِقُنَا لِتَعْرِضَهُ أَمَامَ الرَّبِّ بِالصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ بِوَضْعِيَّةِ شُكْرِ. لِذَا أُرِيدُ إِدْرَاجَ الشُّكْرِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ نَرْفَعُهَا لِلرَّبِّ. يُوجَدُ سَبَبَانِ آخَرَانِ إِلَى جَانِبِ هَذِهِ الْوَضْعِيَّةِ الرَّسُولِيَّةِ لِإِدْرَاجِ الشُّكْرِ فِي صَلَوَاتِنَا. وَهَذَانِ السَّبَبَانِ الْآخَرَانِ هُمَا الْآتِيَانِ: أَوَّلًا، حِينَ يَكْتُبُ الرَّسُولُ بُولُسُ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةِ فِي الْأَصْحَاحِ ١، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ دَيْنُونَةِ اللَّهِ الْعَامَّةِ وَالشَّامِلَةِ، وَعَنْ عَضْبِهِ التَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ نَظَرًا لِإِثْمِ الْكُفُونِ كُفَّهُ وَفُجُورِهِ، وَحِينَ يَشْرَحُ سَبَبَ عَضْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَرَى أَمْرَيْنِ أَسَاسِيَيْنِ مُدْتَبِّ بِهَمَّا كُلُّ إِنْسَانٍ؛ هَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا رَفُضُ تَمَجِيدِ اللَّهِ كَالِهٍ أَوْ شُكْرِهِ. إِذَا الْخَطِيئَتَانِ الْأَسَاسِيَتَانِ وَالْجُوهَرِيَّتَانِ

في القلب البشريّ هما خطيئته رَفِضَ تَمَجِيدِ اللَّهِ كِإِلَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَالثَّانِيَةُ هِيَ رُوحُ عَدَمِ الْإِمْتِنَانِ. وَرُوحُ عَدَمِ الْإِمْتِنَانِ الطَّبِيعِيُّ الْفَاسِدِ هَذَا لَا يُشْفَى عَلَى الْفُورِ لَدَى نَيْلِ الْخَلَّاصِ. نَحْنُ نَسْتَمِرُّ فِي اعْتِبَارِ بَرَكَاتِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَصَلَاحِهِ تَحْصِيلاً حَاصِلاً. إِذَا، كُلَّمَا صَلَّيْنَا وَدَخَلْنَا إِلَى مُحَضَّرِهِ، يَجِبُ أَنْ نُفَكِّرَ فِي التَّعْبِيرِ عَن شُكْرِنَا عَلَى الْبَرَكَاتِ الَّتِي نَلْنَاهَا. عِنْدَمَا يَقُولُ لَنَا بُولُسُ أَنْ نَأْتِيَ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ شَاكِرٍ، فَهُوَ لَا يَعِظُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْفَاسِدَةَ الَّتِي تَقُولُ "انطق به واستقبله"، الَّتِي نَسْمَعُهَا فِي جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ الدِّيْنِيِّ الْيَوْمَ حَيْثُ يَتِمُّ حَثُّ النَّاسِ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى اسْتِجَابَةِ صَلَاتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنَالُوهَا.

إِنْ ذَهَبَتْ إِلَى اجْتِمَاعِ لِشَفَاءِ الْجَسَدِيِّ يُقَالُ لَكَ إِنَّهُ عَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّكَ مَشْفِيٌّ لِيْكَ نُشْفَى، وَإِنَّهُ عَلَيْكَ أَنْ تُعْلِنَ الْأَمْرَ مُسَبِّقًا. إِنْ كُنْتَ أَعْمَى وَطَلَبْتَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَشْفِيَكَ عَلَيْكَ أَنْ تُعْلِنَ شِفَاءَكَ. هَذَا أَمْرٌ غَادِرٌ، لِأَنَّهُ يَتِمُّ تَعْلِيمُ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِأَمْرٍ لَيْسَ صَحِيحًا. وَإِنْ لَمْ يُشْفُوا مِنْ عَمَاهُمْ بَعْدُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُبْصِرُوا فَتَحْنُ نَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا "أَنَا أُوْمِنُ بِأَنَّيْ أَقْدِرُ أَنْ أُبْصِرَ". هَذَا سِحْرٌ وَلَيْسَ إِيمَانًا، وَهَذَا لَا يُكْرِمُ اللَّهَ. كُلَّمَا مَثَلْنَا أَمَامَ اللَّهِ، نَعْتَرِفُ بِأَنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ الْحَقَّ بِأَنْ يَقُولَ "لَا" لِصَلَوَاتِنَا. ثَمَّةَ أُمُورٌ ضَمِنَ أَنْ يَسْتَجِيبَهَا بِطَرِيقَةٍ إِبْجَابِيَّةٍ. هُوَ يَضْمَنُ مَثَلًا أَنَّنَا إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا بِطَرِيقَةٍ شَرْعِيَّةٍ وَعَادِلَةٍ وَصَادِقَةٍ، فَهُوَ يَعْفِرُ لَنَا خَطَايَانَا. إِذَا، حَيْثُمَا وَعَدَ اللَّهُ بِأَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا بِهِذِهِ الطَّرِيقَةَ فَمِنَ اللَّائِقِ تَمَامًا أَنْ نَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ الْعُفْرَانِ. لَكِنْ إِنْ كُنْتَ أَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عَمَلًا فِي مَكَانٍ مَا، أَوْ كُنْتَ أَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ مُشْكِلَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي حَيَاتِي، فَأَنَا لَا أَشْكُرُهُ مُسَبِّقًا عَلَى قَوْلِهِ "أَجَلْ"، لِأَنَّ جَوَابَهُ قَدْ يَكُونُ "لَا". مِثْلَمَا جَاهَدَ الْمَسِيحُ مَعَ الْآبِ بِالصَّلَاةِ فِي بُسْتَانِ جَثْسِيمَانِي وَطَلَبَ أَنْ تَعْبُرَ عَنْهُ هَذِهِ الْكَأْسُ، وَقَالَ الْآبُ لِلابْنِ "لَا". لَمْ يَجِدِ الْإِبْنُ مُشْكِلَةً فِي الْأَمْرِ. لَقَدْ فَرِحَ. وَظَلَّ قَلْبُهُ شَاكِرًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ الْأُخْرَى الَّتِي مَنَحَهُ إِيَّاهَا اللَّهُ. وَهُوَ لِأَمْرٍ جَيِّدٍ حَتْمًا أَنْ تَكُونَ شَاكِرًا حَتَّى عِنْدَمَا يَقُولُ اللَّهُ "لَا". لَكِنْ لَا يُمَكِّنُنَا التَّلَاعُبُ بِاللَّهِ بِالسِّحْرِ. هَذِهِ هِيَ الْفِكْرَةُ الَّتِي أُحَاوِلُ إِيْضًا حَهَا.

السَّبَبُ الْأَخْرُ لِبُصْرَةٍ تَذَكَّرْنَا أَهْمِيَّةَ الشُّكْرِ، هُوَ تَعْلِيمُ يَسُوعَ قِصَّةَ الْعَشْرَةِ بُرْصِ كَمَا دَوَّنَهَا الْعَهْدُ الْجَدِيدُ. سُفِي عَشْرَةَ بُرْصِ، لَكِنَّ وَاحِدًا فَقَطْ رَجَعَ إِلَى يَسُوعَ لِيَشْكُرَهُ عَلَى الشِّفَاءِ. كَمَا قُلْتُ مِرَارًا، لَا أَعْلَمُ كَمْ مَرَّةً سَمِعْتُ عِظَاتٍ عَن هَذَا النَّصِّ، حَيْثُ يَقُولُ الْخُدَّامُ إِنَّ يَسُوعَ شَفَى عَشْرَةَ بُرْصِ وَكَانَ وَاحِدٌ فَقَطْ بَيْنَهُمْ شَاكِرًا، هَذَا مُسْتَحِيلٌ. أَيُّهَا السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ، لَمْ يَكُنْ يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ أَنْ يَصَابَ بِالْبُرْصِ وَيُشْفَى مِنْهُ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا. مَهْمَا كَانَ قَلْبُكَ قَاسِيًا، إِنْ شُفِيَتْ مِنَ الْبُرْصِ فَسَتُصْبِحُ مُمْتَنِّنًا. لَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِمَا إِذَا كَانَ هُوَ لِأَيِّ الْبُرْصِ مُمْتَنِّنٍ. لَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا مُمْتَنِّنِينَ. لَكِنَّ وَاحِدًا فَقَطْ بَدَلَ مَجْهُودًا لِيُبْرِهِنَ عَن شُكْرِهِ لِلْمَسِيحِ. وَكَانَ الْآخَرُونَ مُتَحَمِّسِينَ جِدًّا لِشِفَائِهِمْ لِذَرَجَةِ أَنَّهُمْ تَوَجَّهُوا مُبَاشَرَةً إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَصَدُوا عَائِلَاتِهِمْ وَرُزُجَاتِهِمْ. لَكِنَّ رَجُلًا وَاحِدًا فَقَطْ بَدَلَ مَجْهُودًا وَقَالَ "قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْبَيْتِ، وَقَبْلَ أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِرِفْقَةٍ عَائِلَتِي، يَجِبُ أَنْ أَقْصِدَ الرَّجُلَ الَّذِي شَفَانِي

وَأَشْكُرُهُ، لِيُعَبَّرَ عَنِ امْتِنَانِهِ. إِنْ كَانَ عَشْرَةٌ مِنْ أَصْلِ عَشْرَةٍ مُمْتَنِّينَ لَكِنَّ تِسْعَةً فَقَطْ مِنْ أَصْلِ عَشْرَةٍ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ امْتِنَانِهِمْ عَلَى أَمْرِ فَائِقٍ لِلطَّبِيعَةِ كَالشِّفَاءِ مِنَ الْبَرَصِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ نَحْنُ نَسِيلُ إِلَى الْحُصُولِ عَلَى شَتَّى أَنْوَاعِ الْبَرَكَاتِ مِنْ يَدِ اللَّهِ كُلِّ يَوْمٍ، وَالَّتِي قَدْ لَا تَكُونُ مُثِيرَةً كَالشِّفَاءِ مِنَ الْبَرَصِ، وَلَكِنَّا لَا نَقْضِي وَقْتًا كَافِيًا لِنَقُولَ "شُكْرًا لَكَ".

إِذَا، مَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ بُولُسُ هُوَ الْآتِي: كُلَّمَا أَتَيْتُمْ بِطَلِبَاتِ صَلَوَاتِكُمْ، تَعَالَوْا بِرُوحِ شَاكِرَةٍ. أَظُنُّ أَنَّهُ يُوجَدُ سَبَبٌ نَفْسِيٌّ لِأَهْمِيَّةِ ذَلِكَ، وَهُوَ الْآتِي: أَحْيَانًا يَقُولُ اللَّهُ "لَا" لِصَلَوَاتِنَا أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ. يُشْبِهُ الْأَمْرَ الْحَادِمَ الَّذِي يَعِظُ صَبَاحَ الْأَحَدِ، وَفِي نَهَايَةِ الْاجْتِمَاعِ يَرْجِعُ إِلَى الْجِهَةِ الْخَلْفِيَّةِ مِنَ الْكَنِيسَةِ لِيَصَافِحَ شَعَبَ الْكَنِيسَةِ. فَيَخْرُجُ مِنْهُ شَخْصٌ وَيُصَافِحُوهُ قَائِلِينَ: "شُكْرًا عَلَى عِظَةِ هَذَا الصَّبَاحِ. أَنَا أَقْدَرُ ذَلِكَ، وَقَدْ وَجَدْتُهَا مُهِمَّةً وَبَنَاءَةً"، وَيَمْضُونَ فِي طَرِيقِهِمْ. ثُمَّ يَأْتِي إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ عِنْدَ الْبَابِ قَائِلًا: "لَقَدْ انزعجتُ فِعْلًا مِنْ عِظَتِكَ هَذَا الصَّبَاحِ. لَمْ يُعْجِبْنِي هَذَا الْأَمْرُ وَذَلِكَ". ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الرَّاعِي إِلَى الْبَيْتِ لِتَنَاوُلِ الْعِشَاءِ، فِيمَ سَيُفَكِّرُ؟ أَمِ الْمِئَةِ الَّذِينَ شَكَرُوهُ؟ أَمْ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ الَّذِي تَهَجَّمَ عَلَيْهِ بِالْكَلَامِ؟ إِنْ كَانَ إِنْسَانًا، فَمَا سَيَتَذَكَّرُهُ هُوَ رُوحَ الْإِنْتِقَادِ الَّذِي اسْتَمَعَ إِلَيْهِ. هَذَا مَا يَبْقَى فِي ذَاكِرَتِهِ. الْأَمْرُ نَفْسُهُ يَنْطَبِقُ عَلَيْنَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِصَلَوَاتِنَا. إِنْ طَلَبْنَا عَشْرَةَ أُمُورٍ مِنَ اللَّهِ وَأَعْطَانَا تِسْعَةً مِنْهَا رَافِضًا تَلْبِيَّةً أَحَدَهَا، فَإِنَّا سَنَمْضِي قَائِلِينَ: "مَا الْجُدُوى مِنَ الصَّلَاةِ؟" وَفَجْأَةً نُصَابُ بِأَرْمَةٍ فِي إِيمَانِنَا، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ "لَا". لِدَا مِنَ الْمُهْمِّ حِينَ نُصَلِّي أَنْ نَتَذَكَّرَ قَوْلَهُ نَعَمْ، وَأَنْ نَتَذَكَّرَ الْأُمُورَ الَّتِي اسْتَجَابَهَا. هَذَا جُزْءٌ مُهِمٌّ مِنَ الصَّلَاةِ.

أَيْضًا، حِينَ نَنْتَقِلُ إِلَى التَّضَرُّعِ يَقُولُ بُولُسُ: "بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمَ طَلِبَاتِكُمْ لَدَى اللَّهِ. وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَقُوقُ كُلَّ عَقْلِ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". تُوجَدُ عِبْرٌ كَثِيرَةٌ هُنَا فِي هَذَا النَّصِّ الْبَسِيطِ. الدُّعَاءُ وَالطَّلِبَاتُ مُتَرَادِفَانِ أَسَاسًا، حَيْثُ نَلْتَمِسُ أَمْرًا مَا بِطَلِبَاتِنَا، هَذَا هُوَ التَّضَرُّعُ. وَقَدْ يَكُونُ هَذَا التَّضَرُّعُ طَلِبًا لَنَا أَوْ رُبَّمَا لِأَناسٍ آخَرِينَ. لِدَا أَحْيَانًا الْعُنْصُرُ الرَّابِعُ فِي الصَّلَاةِ يُدْعَى "التَّشْفُّعُ" بَدَلًا مِنَ التَّضَرُّعِ. لَكِنَّ التَّضَرُّعَ هُوَ الْمَفْهُومُ الْأَوْسَعُ، لِأَنَّهُ يَعْنِي رَفَعَ طَلِبَاتٍ إِمَّا لِأَنْفُسِنَا أَوْ لِآخَرِينَ.

لَكِنَّ هُنَا نَصَلُ إِلَى آخِرِ مَرَحَلَةٍ فِي الصَّلَاةِ، حَيْثُ نُصَلِّي لِلْأَشْيَاءِ، وَلِلنَّاسِ. نَحْنُ نَرَفَعُ طَلِبَاتِنَا لِلَّهِ. وَالْأَمْرُ الَّذِي يُشْجِعُنَا فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ هُوَ أَنَّنَا حِينَ نَرَفَعُ طَلِبَاتِنَا، فَإِنَّا نَرَفَعُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ، مُدْرِكِينَ أَنَّهُ شَفِيعُنَا. أَنَّهُ رَيْسُ كَهَنَتِنَا الْعَظِيمِ. وَهُوَ يَحْمِلُ صَلَوَاتِنَا إِلَى الْآبِ. وَالصَّلَاةُ مُمَارَسَةٌ تَرْتَبِطُ بِالثَّلَاوِثِ نَوْعًا مَا. نَحْنُ نَحْاطِبُ اللَّهَ الْآبَ أَسَاسًا فِي الصَّلَاةِ. لَكِنَّا نَأْتِي إِلَى الْآبِ مِنْ خِلَالِ رَيْسِ كَهَنَتِنَا، مِنْ خِلَالِ الْإِبْنِ، الَّذِي تَمَّ تَعْيِينُهُ رَيْسَ كَهَنَةِ لَنَا إِلَى الْأَبَدِ، وَهُوَ يُخَدِّمُ فِي الْمَسْكَنِ السَّمَاوِيِّ، وَهُوَ شَفِيعُنَا.

لَكِنَّا نَفْهَمُ أَيضًا أَنَّهُ فِي عَمَلِ الْفِدَاءِ أَرْسَلَ الْآبُ وَالْإِبْنُ مَعًا الرُّوحَ الْقُدُسَ، لِلْمُسَاعَدَةِ فِي تَطْبِيقِ عَمَلِ الْفِدَاءِ فِي حَيَاتِنَا. وَتَطْبِيقُ الْفِدَاءِ هَذَا لَيْسَ مَحْضُورًا بِبَسَاطَةٍ بِالتَّجْدِيدِ وَالتَّقْدِيسِ وَالْأُمُورِ الْأُخْرَى الَّتِي يَصْنَعُهَا لَنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ، لَكِنِ أَيضًا، الرُّوحُ الْقُدُسُ مُهِمٌّ جِدًّا لِمَسِيرَةِ صَلَاتِنَا. لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُسَاعِدُنَا فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَنْبَغِي. إِذَا، فَوَرَّ مَا أُصَلِّي، أَنَا أَعْتَمِدُ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ، الْأَفْنُومِ الثَّالِثِ فِي الثَّلَاثِ، لِيُسَاعِدَنِي عَلَى الصَّلَاةِ كَمَا يَنْبَغِي، وَلِيُسَاعِدَنِي عَلَى الصَّلَاةِ بِتَقْوَى، وَلِيُسَاعِدَنِي عَلَى عَدَمِ الصَّلَاةِ بِطَرِيقَةٍ أَنَانِيَّةٍ أَوْ آئِمَةٍ وَإِنَّمَا بِطَرِيقَةٍ صَائِبَةٍ.

إِذَا، الرُّوحُ الْقُدُسُ يُسَاعِدُنِي فِي هَذَا الْإِطَارِ، ثُمَّ يَتِمُّ تَسْلِيمُ صَلَاتِي، إِذَا جَارَ التَّعْبِيرُ، إِلَى الْإِبْنِ الَّذِي يَنْقُلُ الصَّلَاةَ إِلَى الْآبِ. إِذَا، فَالصَّلَاةُ بِأَكْمَلِهَا عَمَلٌ ثَالُوثِيٌّ. يُسَاعِدُنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ لِيَرْفَعَ التَّضَرُّعَ وَلِتَكُونَ مُتَشَفِّعِينَ، ثُمَّ يَتِمُّ تَسْلِيمُ ذَلِكَ إِلَى الْإِبْنِ.

كَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا، حِينَ نَحَاوُلُ تَعَلُّمَ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ، فَنَحْنُ فِي مَدْرَسَةٍ أَسَّسَهَا التَّلَامِيذُ بِأَنْفُسِهِمْ. ذَكَرْتُ أَنَّ التَّلَامِيذَ جَاؤُوا إِلَى يَسُوعَ وَسَأَلُوهُ "يَا رَبُّ، عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ". وَحِينَ أُعْطِيَ يَسُوعُ ذَلِكَ الدَّرْسَ لِلتَّلَامِيذِ فَإِنَّهُ أَعْطَاهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ أُعْطِيَ مِنْ خِلَالِهِمْ لِلْكَنِيسَةِ، الصَّلَاةَ التَّمُودَجِيَّةَ، وَهِيَ لَيْسَتْ كَلِمَةُ "ACTS" ذَاتِ الْأَحْرَفِ الْمُتَسَلِّسَةِ فِي الْإِنْجِيلِيَّةِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا تَعَكِّسُ الْأَمْرَ بِطَرِيقٍ عِدَّةٍ، وَإِنَّمَا الصَّلَاةُ التَّمُودَجِيَّةُ الَّتِي تُسَمِّيهَا الصَّلَاةُ الرَّبَّانِيَّةُ.

فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ، تَكُونُ صَلَاتُنَا مُجَرَّدَ تَكَرَّرٍ أَوْ تِلَاوَةٍ لِلصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ. لَمْ يَقُلْ يَسُوعُ "مَتَى صَلَّيْتُمْ، قُولُوا هَذِهِ الصَّلَاةَ". لَكِنَّهُ أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الرَّبَّانِيَّةَ رَدًّا عَلَى طَلْبِ التَّلَامِيذِ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ. إِذَا، حِينَ قَالَ يَسُوعُ "مَتَى صَلَّيْتُمْ صَلُّوا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ". كَانَتْ الصَّلَاةُ الرَّبَّانِيَّةُ مَثَلًا وَمِثَالًا يَجِبُ اتِّبَاعُهُ. فِي هَذَا الصِّدْقِ، يَجِبُ أَنْ نَتَأَمَّلَ فِي الْعُنَاصِرِ الْمُكَوَّنَةِ لِلصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ، لِنَرَى مَا يُعْطِيهِ يَسُوعُ فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ كَتَوْجِيهِ، وَكَتَمُودَجٍ تَعْلِيمِيٍّ لِشَعْبِهِ.

تَبَدُّأ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِالْأَسْطُرِ الْاِفْتِتَاحِيَّةِ، أَيْ بِعُنْوَانِ الصَّلَاةِ "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". مَتَى صَلَّيْتُمْ، صَلُّوا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. أَوَّلُ أَمْرٍ فَعَلَهُ يَسُوعُ هُوَ تَذَكِيرُنَا مُجَدِّدًا بِالشَّخْصِ الَّذِي نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ. وَكَمَا قُلْتُ فِي مُنَاسَبَاتٍ أُخْرَى، هَذَا الْإِعْلَانُ هُنَا هُوَ أَحَدُ تَعَالِيمِ يَسُوعَ الْأَكْثَرِ جَوْهَرِيَّةِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حِينَ يَقُولُ "مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا" لِلْسَّبَبِ الْآتِي. فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَفِي جَمِيعِ كِتَابَاتِ الْيَهُودِ الرَّابِيَّةِ مِنْ أَزْمِنَةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَصُورًا إِلَى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ فِي إِيطَالِيَا، لَا يُوجَدُ أَيُّ مَثَلٍ عَنِ إِنْسَانٍ يَهُودِيٍّ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ بِالصَّلَاةِ مُبَاشَرَةً عَلَى أَنَّهُ "أَبُ"، إِلَّا فِي حَالَةِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي، بِحَسَبِ السِّجْلِ الْكِتَابِيِّ لِمَسِيرَةِ يَسُوعَ فِي الصَّلَاةِ، وَفِي كُلِّ صَّلَاةٍ رَفَعَهَا وَتَمَّ تَدْوِينُهَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ بِاسْتِثْنَاءِ وَاحِدَةٍ، حَاظَبَ اللَّهُ مُبَاشَرَةً قَائِلًا "يَا أَبَتَاهُ".

أَنْتُمْ تُدْرِكُونَ رَدَّ فِعْلٍ مُعَاَصِرِهِ الَّذِينَ كَانُوا عِدَائِيَّينَ مُجَاهَهُ. كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِقَتْلِهِ لِأَنَّهُ نَجَّرَ عَلَى تَسْمِيَةِ اللَّهِ "أَبْتَاهُ". كَانَ هَذَا ابْتِكَارًا جَدِيدًا تَمَامًا. وَهُوَ دَعَا اللَّهَ "يَا أَبْتَاهُ" لِأَنَّهُ كَانَ "مُونُوغِينِيْز" (*monogenés*) أَيِ الْإِبْنِ الْوَحِيدِ لِلآبِ. وَحِينَ قَالَ التَّلَامِيذُ: "عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ"، قَالَ يَسُوعُ: "حَسَنًا، مَتَى صَلَّيْتُمْ صَلُّوا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، يَا أَبَانَا". إِنَّهُ يَقُولُ "بِفَضْلِي، تَمَّ تَبْنِيْكُمْ فِي عَائِلَةِ اللَّهِ. وَكَمَا أَنِّي أَدْعُو اللَّهَ أَبِي، يُمَكِّنُكُمْ الْآنَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ أَبَانَا. يُمَكِّنُكُمْ الْقَوْلُ إِنَّهُ أَبَانَا الْآنَ بِمُوجِبِ التَّبَعِي". إِذَا، هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى رَوْعَةِ قُوَّةِ اللَّهِ الْفَادِيَةِ حِينَ نَدْعُو اللَّهَ أَبَانَا. نَحْنُ نَدْعُو ذَاكَ الَّذِي يَسْكُنُ فِي السَّمَاوَاتِ. إِنَّهُ اللَّهُ الْعَلِيِّ. تَرَوْنَ أَنَّهُ فِي هَذَا التَّوَعُّعِ مِنَ الْمُخَاطَبَةِ يَتِمُّ إِكْرَامُ اللَّهِ. بِمَعْنَى، بِدَايَةِ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ تَعَكُّسُ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنْ كَلِمَةِ ACTS فِي الْإِنْجِيلِيَّةِ، لِأَنَّهَا تَتَّصِفُ التَّمَجِيدَ. إِنَّهَا مُخْتَصَرَةٌ لِكَيْفِهَا تَمَجِيدٌ.

وَمَا هُوَ أَوَّلُ طَلَبٍ فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ؟ "لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ". غَالِبًا مَا يُسَاءُ فَهَمُّ ذَلِكَ، لِأَنَّ أَنَا سَا كَثْرًا يَطْنُونَ أَنَّ هَذَا جُزْءٌ مِنَ الْمُخَاطَبَةِ. الْأَمْرُ يُشْبِهُ الْقَوْلَ: "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، أَنْتَ قُدُّوسٌ". لَا، نَحْنُ لَا نَقُولُ بِبَسَاطَةٍ: "قُدُّوسٌ هُوَ اسْمُكَ"، وَهِيَ عِبَارَةٌ تُدَلُّ عَلَى التَّمَجِيدِ، بَلْ بِالْأُخْرَى هَذَا تَضَرُّعٌ. إِنَّهُ طَلَبٌ. أَوَّلُ أَمْرٍ طَلَبَ يَسُوعُ أَنْ نُصَلِّيَ لِأَجْلِهِ هُوَ أَنْ يَتِمَّ تَوْقِيرُ اسْمِ اللَّهِ، وَأَنْ يَتِمَّ اعْتِبَارُهُ مُقَدَّسًا. هَذَا مَا يَجِبُ أَنْ نُصَلِّيَ لِأَجْلِهِ فِي الْبِدَايَةِ.

أَحَدُ الْأُمُورِ الَّتِي أُرِيدُ قَوْلَهَا عَنْ طَرِيقِ تَوْسِيعِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، هُوَ أَنَّهُ مِنَ النَّادِرِ جِدًّا فِي صَلَوَاتِنَا وَطَلْبَاتِنَا وَدُعَائِنَا أَنْ نُصَلِّيَ لِإِكْرَامِ اللَّهِ، وَأَنْ نُصَلِّيَ لِأَجْلِ نَجَاحِ إِرْسَالِيَّةِ الْكَنِيسَةِ؟ نَحْنُ نُصَلِّيَ لِأَجْلِ احتِيجَاتِنَا الْخَاصَّةِ وَلِأَجْلِ احتِيجَاتِ أَصْدِقَائِنَا، لَكِنْ قَلَمَّا نُصَلِّيَ لِأَجْلِ امْتِدَادِ الْمَلَكُوتِ. وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ يَسُوعُ: "مَتَى صَلَّيْتُمْ، أُرِيدُ أَنْ تُصَلُّوا أَوَّلًا أَنْ يَكُونَ اسْمُ أَبِي مُقَدَّسًا لَدَى الْجَمِيعِ". ثُمَّ صَلُّوا "لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ". مَرَّةً أُخْرَى، أَوْلَوِيَّةُ الصَّلَاةِ وَفَقَّ يَسُوعُ فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ هِيَ نَجَاحُ مَلَكُوتِ اللَّهِ الَّذِي أَسَّسَهُ يَسُوعُ عَلَى الْأَرْضِ. أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ تَقَدُّمٌ تَدْرِيجِيًّا هُنَا، "لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ".

دَعُونِي أَقُولُ هَذَا الْأَمْرَ. الْآنَ بَيْنَمَا أَتَكَلَّمُ، يُعْتَبَرُ اسْمُ اللَّهِ قُدُّوسًا دَائِمًا فِي السَّمَاءِ. مَا مِنْ أَحَدٍ فِي السَّمَاءِ يُجَدِّفُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ. اسْمُهُ غَيْرُ مُدْنَسٍ أَبَدًا فِي السَّمَاءِ. مَلَكُوتُهُ مَوْجُودٌ أَصْلًا بِمِلءِ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْقُوَّةِ فِي السَّمَاءِ. يَسُوعُ الْمَسِيحُ مُتَوَجِّعٌ كَرَبِّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكِ الْمُلُوكِ. كُلُّ إِنْسَانٍ فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَلَاكٍ فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَصْبَحَ كَامِلًا فِي السَّمَاءِ يَجْتُوْ أَمَامَ الْمَلِكِ. لَا تُوجَدُ أَيُّ خَطِيئَةٍ فِي السَّمَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ مَوْجُودٍ فِي السَّمَاءِ قَدْ تَمَجَّدَ. إِذَا، كُلُّ إِنْسَانٍ فِي السَّمَاءِ يَفْعَلُ مَشِيئَةَ اللَّهِ طَوْعًا. إِذَا، لَا يَتَوَجَّعُ عَلَى النَّاسِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى اللَّهِ فِي السَّمَاءِ قَائِلِينَ: "رَجَاءٌ يَا رَبُّ، فَلْيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ. رَجَاءٌ، فَلْيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. رَجَاءٌ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ"، لِأَنَّ الْأَمْرَ قَائِمٌ فِعْلًا. لَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ: "أُرِيدُ أَنْ تُصَلُّوا أَنْ تَتِمَّ هَذِهِ الْأُمُورُ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ". فَحَيْثُ نَعِيشُ الْيَوْمَ لَا يُعْتَبَرُ اسْمُ اللَّهِ قُدُّوسًا. يَتِمُّ

تَجَاهُلُ الْمَلَكُوتِ، وَمَشِيئَةُ الْآبِ غَيْرُ مُطَاعَةٍ. وَمَا يَجِبُ أَنْ نُصَلِّيَ لِأَجْلِهِ هُوَ انْتِصَارُ مَلَكُوتِ اللَّهِ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ مُحَوَّرَ صَلَاتِنَا إِنْ اتَّبَعْنَا نُمُودَجَ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ. ثُمَّ عَنَّا صِرُّ أُخْرَى فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ سَنَتَابِعُ الْكَلَامَ عَنْهَا فِي الْمَحَاضِرَةِ الْقَادِمَةِ.

الدكتور أ.ز. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو ( St. Andrews Chapel ) في مدينة سانفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح ( Reformation Bible College ). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" و"أدهشي الألم".